

## المقدمة

ان تفسيرات الجوهرى ( ج 1 ، ص 316 ) والفيروزابادى ا القاموس ، ط كلكتا ، ص 576 ) عقيدة الجدوى . اذ يقول الاول : « الصدرة التي تلبس » ، ويفسرها الثاني بكلمة التوب . وارى انها تشير الى ما تشير اليه الكلمة الفرنسية Veste قبست ، مثل كلمتي الصدرية والصدري اللتين سنتحدث عنهما بالتفصيل .

## الصدرية او الصدرية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكنا نقرأ في بحث الكونت دي شابرو (وصف مصر ج 18 ، ص 108) : « الصدري مشد صغير Petit corset لا اكمام له » . ونطالع في كتاب لين (لين ، المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39) : « ويرتدى بعض الناس في الشتاء ، او بصورة عامة لدى حلول البرد ، صدريها ، اي سترة صغيرة لا اكمام لها ، مصنوعة من الجوخ ، او من الحرير والقطن ، ذات خطوط ملونة » . ولا ارتاد مطلقاً فيكون هذا الكساء هو الذي يتحدث عنه بوكوك Pocoke في كتابه (وصف الشرق ، Beschijving van من 327 ، ج 1) ، وصف الشرق يقول : « ان الحلة التركية تتالف قبل كل شيء ، من نوع كساء قصير لا اكمام له ، منسوج من القطن او من التيل ، ويكون هذا التوب احياناً مغلقاً من الجهة الامامية ، ولكنه مثبت باحدى الجهات » . راجع هيئة الكساء هذا في كتاب بوكوك السالف الذكر ، ج 1 اللوحة 68 .

## الصقاع ، الصوقة

يُفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 1051) كلمة صقاع « بخرقة تقي الخمار من الدهن » والبرفع كالصوقة . أما ابن جني (شرح ديوان المتبنى ، مخ 126 ، ص 103) فيميل إلى كتمة صقاع بمفهومها الثاني من المفهومين المذكورين في القاموس . اذن فالكلمة تشير إلى ما يسمى ببرفع ، وكلمة صقاع تشير أيضاً ، كما تشير الكلمة صوقة ، إلى قطعة من القماش تقي الخمار الدهن الذي تدهن به المرأة رأسها أو تعطره . وعلى هذا فالمسألة هي مسألة طافية .

## الصولق (1)

يخبرنا المقريزي (وصف مصر ، مخ 372 ، ص 350 ، 351) ان السلطان والامراء والجنود كانوا يلبسون الصوالق على الاقبية أيام حكم السلالة التركية (الجركية) : صوالق بلغاري كبار يسع الواحد منهم أكثر من نصف ويبة (2) غلة مفروز فيه منديل طوله ثلاث اذرع . وهذا النص الذي سبق لكاتمير ان ذكره (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 2 ، ص 152) يزورونا بجمع الكلمة صولق وهي صوالق التي ينبغي اضافتها إلى القاموس .

وهذا الثوب كان يرتدي ايضاً في مالطة ، وما تزال القرويات حتى أيامنا هذه يرتدين صدريات لا اكمام لها في هذه الجزيرة ، وهن يسمين واحدتها صدرية Sidria . (راجع فيسيكيه ، رحلات الى الشرق ، ص 6 ، وانظر فاسالي ، اللغة المالطية مج 610) .

وبالرغم من ان هذا التخمين يبدو احتماليا ، فانني لن اسكت عن دونباي ( النحو المغربي العربي ص 82 ) وهو يكتب الكلمة ( مضمه ) ( كذا ) وينطقها مضمه . وهو يفسرها بأنها حزام من الجلد : « Cingulum ex corio, une ceinture de cuir.

### الطربوش

ينبغي التمييز بين الطربوش الذي يلبس في مصر والطربوش الثاني الاستعمال في سوريا والقطار الشرقي الآتى .

ويرى لين ( المصريون المحدثون - ج 1 - ص 41 - 42 ) ان « العمامة تختلف حاليا في مصر من ثلاثة مواد المادة الاولى الكلوطة الصغيرة المسماة طاقية - والمادة الثانية الطربوش الذي هو طاقية او كلوطة ) من الجوخ الاحمر - الملائس للرأس كل الملائمة والمرود بقشرعة من الحرير الازرق الماتك - أما المادة الثالثة والأخيرة فهي القطعة القماشية الطويلة التي تلف حول الطربوش » .

ويقول فيسيكيه ( رحلة الى الشرق - ص 182 - 182 ) : « ان طربوش مصر هو الكلوطة المستديرة المصنوعة من الصوف الاحمر المبلد المنتهية بخيوط حريرية قلت او كثرت » . والنساء ايضا يلبسن الطربوش ( لين - المصدر نفسه - ص 58 ) . ونطالع في كتاب الف ليلة وليلة ( ط مكتبة - ج 1 - ص 165 ) : وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش ( العمامة ) . ( راجع لين ، الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 324 ) .

وجاء في رحلة فنسان لبلان الشهيرة ( ج 2 ، ص 139 ) : ان نساء القاهرة يلبسن « طاقية صغيرة

راجع كذلك تعليقه كاترمير التي يستخلص منها ان كلمة سولق كانت تشير الى جيب جلدي كان يضم الى الحزام او المنطة من الجهة اليمنى . ويظهر من عدة نصوص من كتاب الف ليلة وليلة ان حافظة النقود كانت تشد ايضا الى الصولق .

### المضامة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقرر هوست في كتابه ( اخبار من مراكش ، ص 115 ) : ان الغرد المراكشي يلبس فوق القفطان اما حزاما من الحرير واما مضمة Modhéma اي حزاما جلديا بابزيم ، ويلبسه رجال البلاط وجلساء الملوك بمعنوية زينة ، راجع اللوحة 15 ، الصورة 3 ، ولكن بعض الناس لا يستفدون عن المضامة ، لأنهم يلمون أثوابهم بواسطة هذا الحزام ، وبدونه تربكهم ثيابهم أثناء العمل » . ونرى من الاوحة ان القوم يحملون منديلان في هذا الحزام .

ولا ريب ان هذه الكلمة عربية الاصل ، واعتقد انها الكلمة المؤنثة من الصيحة الثالثة من فعل ضم . مضمة ، في حين أنها تلفظ جيدا Modhéma وذلك لأنها تلفظ في المغرب <sup>4</sup> اي .

اذن فالمضامة تعني تماما : « Res unam rem cum aliâ coniungens » اي أنها حزام يجعل شطري الجهة الإمامية يتلامسان ، او ، اذا صادفت هوى في نفسنا ، هي الحزام الذي يجعل التوب الواسع يلتصق الجسم .

(1) يرى هوست ( رحلة الى مراكش ، ص 119 ) ان كلمة سوالف Sualf التي لا وجود لها في القاموس تشير الى نوع زينة رأس ، نوع عمارة شبية بما يدعى عزابة . ولكيلا يظن بأن هذه الكلمة تدل حقيقة على نوع عمارة فانني سأورد النص التالي لدييكو دي هيدو ( خطط مدينة الجزائر ص 27 ، مع 4 ) التي تثبت لنا ان معلومات هوست خاطئة . فنحن نقرأ فيه : « جميعهن ، بصورة عامة ، لهن عادة قص كل شعورهن بالبوسى ، الشعور الوجودة حول العنق وحول قفا الرأس ، حيث البناعة لا تصل ، وهن يقصصن ايضا جزءا من شعر الجبين : بحيث تبقى لهن من جانبي الرأس خصل من الشعر مشطة بعنابة تناسب على الصدر : وهن يسمينها سوالف .

ويكتبها بيدرو دي الكالا ( مفردات اسبانية عربية ( صالح وصولف ) . ولكن كانيس Canês يكتبها ( صالح والجمع سوالف ) ويفسرها بأنها خصل الشعر .

(2) الوبية هي مكيال حنطة وهو يبلغ اليوم سدس الاردب ( راجع لين المصريون المحدثون ، ج 2 ، ص 417 ) .

كعمره للراس طاقية حمراء تتدلى الى الجانب - وتنثبت في الرأس بقطفين من القماش مركطتين ». وفي موضع آخر ( ص 82 ) يقول عن سكان بعلبك : « يلبسون على رؤوسهم الطاقية الحمراء التي تتدلى الى الجانب » . ويقول بكتهام ( رحلة الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ص 151 ) عن رجال اورفه : « يلبسون الطربوش الواسع الذي يتتدلى الى الخلف بصورة عامة ». ولم اوليفيه يتحدث عن الطربوش اياض في كتابه ( رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس - ج 4 ، ص 327 ) حين يقول عن نساء بغداد : « ان زينتمن الاعتيادية الطربوش المحملي الاسود الكبير الذي يتتدلى الى انوراء - المتنبى بقنزعة من الحرير الاسود او الذهب : فإذا كانت القنزعة من الذهب فان المفارز تكون مغطاة بالحرير او القصب ». وهذه الطاقية مثبتة بالراس بشال كشمير ( اللوحة 27 ) . ولكنني لا اريد ان اؤكد ان القضية هنا هي قضية طربوش - لانني لم اتع في موضع آخر على ان الطاقية تكون من المخمل الاسود . وسأجعلكم تلاحظون ايضا ان الطربوش في الساحل السوري لا يبدو انه يختلف دائمًا عن الطربوش المصري - ذلك لأن ريشتر في كتابه ( الرحلة - ص 123 - الخ ) يذكر في وصف الحلة التي اشتراها من بيروت - للولوج الى داخل سوريا : « هناك فيس احمر يدعى هنا طربوش اي طاقية صغيرة مدوره » .

ولعل هذه الكلمة حين استعملت لم تصل الى العرب الا في مطلع القرن السادس عشر - ولم تكن الا تحريرا لكتمة سريوش الفارسية - وهي في العربية شربوش ... حقيقة ان هذه الكلمات تشير الى نوع من عمرة الرأس مختلف - ولكن كلمة سريوش الفارسية في غاية الفوضى اصلا - ما دامت لا تشير الا الى زينة رأس على وجه العموم . فنن المكن كل المكن - كما اعتقاد - ان هذه الكلمة قد طبقت على انواع من عمارات الرأس .

وتسمى هذه الطاقية في الجزيرة العربية بـ ( فس ) وكذلك تدعى في القسطنطينية . وكان الناس يسمونها قديما في مصر ناشية - وهو الاسم الذي ما تزال تحمله في المغرب . ومع ذلك فان كلمة طربوش ليست مجهلة في المغرب - ذلك لأن دونباني في كتابه ( التحو المغربي العربي - ص 83 ) يترجم كلمة طربوش بكلمتى Galericus nautarum وتسمى هذه الطاقية في اسبانيا غفاره .

على الرأس من قماش غالى الثمن يعلوها قيطان مبروم في نهايته ندفة او قنزعة ». ونجد في بوكوك ( وصف الشرق ، ج 1 ، ص 328 ) ان سواد الشعب يلبس بدل العمامة الطاقية الحمراء التي تتدلى بالرأس كل الالتصاق . وهي تلبس ايضا من قبل الاعراب ( البدو ) ويلبسها كذلك المولدون في مصر - ولكن التجار وحاشية الامراء العرب والقيسس الاقباط يستعملون الطاقية الاخرى » . وجاء في كتاب الكونت دي شابرو ( وصف مصر ، ج 18 ، ص 108 ) : « الطربوش هو الطربوش هو الطاقية او الكلوة الكبيرة الملبدة - التي تغطي الرأس حتى الاذنين ». وبعد ذلك في وصف ازياء النساء ( ص 113 ) : « الطربوش هو الغطاء الذي يوضع فوق الطاقية ». وبخصوص ستيفنس في كتابه ( حوادث سفر في مصر - ص 225 ) بالذكر « الطربوش الاحمر » من بين ملابس أحد تجار القاهرة . انظر هيئة هذه الطاقية في كتاب بوكوك - اللوحة 58 - وراجع كتاب ج فيشكه .

وها قد رأينا بفضل نص اوردته بوكوك ان هذه الطاقية هي ايضا يلبسها بدو مصر . والواقع ان منتاكازه يقرر في كتابه ( قصة رحلة الى اورشليم - ص 112 ) : « ان فرسان البدو يلبسون طاقية صغيرة من التيل ». ونجد في كتاب كوبسان ( درع اوروبا ) ما يلي : اما العوام فيسترون بقطعة طويلة من القماش الصوفي يلفونها في كتاب كوبسان ( درع اوروبا ) ما يلي : « اما العوام فيسترون بقطعة من القماش الصوفي يلفونها حول الجسم ( بردة ) مع طاقية حمراء مزودة بقطعة من التيل الايض والاسود ». ونقرأ في كتاب ستيفنس ( حوادث السفر ، الخ ، ج 1 ، ص 224 ) : « وسرعان ما ارتدى بول الحلة العربية البدوية الاعتيادية : القميص القطني الازرق والطربوش والنعنعين البدوين » .

ويؤكد بارثي في كتابه ( جولة عبر صقلية والشرق ، ج 2 ، ص 77 ) : ان البدو المجاورين للأسكندرية كانوا يلبسون « الطاقيات الحمراء الصغيرة ». وان ما يميز الطربوش المصري عن الطربوش السوري وطربوش البلاد الشرقية الاخرى - هو ان الطربوش السوري لا يلامس الرأس تماما - ولكن له نهاية متذليلة الى الوراء او الى الجانب . ونحن نقرأ في احد كتب بكتهام ( رحلة الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 6 ) : « هناك طربوش واسع - او طاقية حمراء - تتدلى الى الوراء - على الرقبة والكتفين » .

ويقول ريشتر في كتابه ( رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 68 ) عن سكان عكا : « يستعملون

## الطحة

سبق لكاتيرمير ان زودنا في كتابه (تاريخ السلاطين الماليك) - ج 1 - ق 2 من 21 - 22 بتفاصيل حول نوع الخمار المسمى طحة . ونلاحظ في تعلق هذا العلامة التعمق العلمي الذي يميز كل كتاباته . وقد تحدث كذلك سيلفستر دي ساسي في كتابه طرائف غربية - ج 2 من 269 (269) عن الطحة - واستشهد به فريتاك . وسأحرص على اعطاء هذه المعلومات التي استصفاها مؤلاء العلماء شكلاً - ان يكن باهتماماً من الناحية التاريخية فإنه خلاف ذلك من جهة اضافية ثمرة قراءاتي الخاصة اليه .

ولنشرع بوصف طحة الرجال . فانها خمار *Voile empesé* مصنوع من الشاش الموصلي الذي يلتصق على العمامة - او يطرح على الكتفين فقط . فيتدلى على الظهر ( والطحة تشبه الطيلسان ) - وان التباهي الذي ظن دى ساسي انه قد عشر عليه بين الطحة والطيلسان هو ظن وهمي . اذ برى هذا العالم ان ما يميز الطحة من الطيلسان ان الطيلسان يوضع على العمامة وان الطحة تطرح على الاكتاف . وان كلمات المقربي ( لدى كاتيرمير ) « فوق عمامته طحة سوداء » و « الشاش طحة على عمامته » تؤكد ان هذا الافتراض لا يقوم على اساس . ونحن نقرأ كذلك في تاريخ مصر ( منج كاتيرمير ) : « حضر القاضي الشافعي كان هو وحده يلبس الطحة بصورة اعتيادية - ان القضاة الثلاثة الآخرين لم يكونوا يلبسونها الا في المناسبات الرسمية ? والواقع ان القاضي الشافعي هو الذي كان يتمتع في مصر باحتلال مركز الصدارة - وعليه كان يمهد الحكم على قضاة الطوائف الأخرى . اليون الافريقي - وصف افريقيا - من 706 ، وان الخطباء كذلك خطباء الجوابع والمآجاد كانوا يلبسون الطحة . ( السيوطى لدى كاتيرمير ) .

ويظهر ان الطحة نفسها قد استعملت استعمال العمامات في المصور الحديثة - لانا نجد في وصف مصر ( ج 18 - ص 109 ) : « الطحة قطعة من الشاش الموصلي او جزء من الشال الذي يناسب الى قفا الرأس بعد ان يكون قد الثالث عدة لوثات حول الطربوش - وهذا النوع من الخمار يقف بارتفاع الكتفين ويحدث تأثيراً في غاية الحلاوة : ويكون احياناً مطرزاً او مرصعاً بالذهب في حواشيه » .

وكانت الطحة لباس القضاة الخاص - بل شعار قاضي القضاة . وقد يدعا كان لا يحملها الا القاضي الشافعي . ( السيوطى لدى دى ساسي - ص 267 -

مالك الابصار لدى كاتيرمير ) . وفي عام 263 من أيام حكم الملك الظاهر بيبرس - تلقى قضاة القضاة الاربعة السماح لهم باتخاذ الطحة . ( المقربي - السلو - ترجمة كاتيرمير ) . وهذا ما يؤيده النص التالي الذي استميره من التويري ( تاريخ مصر - ج 2 - ص 88 ) . اذ يقول هذا المؤرخ وهو يقص علينا اخبار حرواث سنة 716 : « فوض قضاة القضاة الحنفية بمصر للقاضي سراج الدين عمر بن شهاب الدين بن محمود وخلع عليه بطحة على عادة القضاة » . ولكنني اجد من المعهتم على ان احملكم على ملاحظة ان هذا الامر لا يطابق البتة احد نصوص السيوطى ( حسن المحاضرة - من 113 - ص 346 - حرواث عام 773 ) حيث نقرأ : « وفي هذه السنة اراد السراج الهندى قاضي الحنفية ان يساوى قاضي الشافعية فى لبس الطحة وتقرير القضاة فى البلاد وتقرير موعد الایتام - فاجيب الى ذلك . فاتفق انه توعك [1] عقب ذلك وطال مرضه الى ان مات ولم يتم الذي اراده » . وعلى هذا نرى ان شهادة ابن حبيب ( درة الاسلام من 425 - ص 1579 ) لا تدع اي مجال للشك بوناة قاضي القضاة الحنفي سراج الدين الهندى حقيقة فى عام 773 . فهل فى المقدور حل هذه المعضلة بافتراض ان القاضي الشافعى كان هو وحده يلبس الطحة بصورة اعتيادية - ان القضاة الثلاثة الآخرين لم يكونوا يلبسونها الا فى المناسبات الرسمية ؟ والواقع ان القاضي الشافعي هو الذي كان يتمتع فى مصر باحتلال مركز الصدارة - وعليه كان يمهد الحكم على قضاة الطوائف الأخرى . اليون الافريقي - وصف افريقيا - من 706 ، وان الخطباء كذلك خطباء الجوابع والمآجاد كانوا يلبسون الطحة . ( السيوطى لدى

دي ساسي ) .

وأول من خلع الطحة كلباس تشريف يكرم به عظماء الدولة وكراء ضباطها كان الملك السعيد خان 1676 النويري لدى كاتيرمير : . ونقرأ لدى التويري ( تاريخ مصر - من 2 - ص 32 ) : « خلع عليه خلمة الوزارة . وكانت الخلمة جهة عنابي حمراء وفوقه فرجية زرقاء منسوجة ( مقتذرة ) وطراحته مقابضة مع الكلمة فرجية ) . ويخيل الى ان طحة القضاة كانت سوداء على الدوام . وقد قلت آنفا ان الطحة كانت مماثلة للطيلسان -

(1) ان التصريف الخامس لفعل وعك لا وجود له في القاموس . وبوسعمك رؤية مثال آخر في كتاب الف ليلة وليلة . ( ط مكناكتن - ج 1 - ص 43 ) .

( 741 - 693 ) فإذا أمنا بما يقوله هذا المؤرخ فأن هذا النوع من الخمار كان يكلف كثيرا - ما دامت كل طرحة كانت تساوي من خمسة الاف الى عشرة الاف دينار . على اتنى لا اصدق ان هذه الطرح الشميمه كانت تلبس من قبل العموم - لأننا نرى من النص التالي للمقريزى ان الطرحة كانت تلبس ايضا من قبل طبقة واطئة من طبقات المجتمع - وان هذه الطبقة فى الاغلب الاعم كانت فقيرة - ومن هذه الطبقة كانت المؤمسات تلبس الطرح . فنحن نقرأ في كتاب ( وصف مصر - ج 2 - مخ 372 - ص 347 ) : وادركت سوق الشعاعين عن الجانبين معمور الحوائط بالشمعونية الموكبة والفاتحية والطواوفات ( 1 ) لا تزال حوائتها

وهذه الملاحظة تحتاج الى بعض التحرير - لأننا نقرأ للنويري ( الذي كاتمیر ) : « لبس الطرحة والقى الطيلسان » . فهل الفرق بين الطرحة والطيلسان ينحصر في ان الكلمة الاولى تشير الى الطيلسان المقرر Voile empesé هو انتا تقرأ للنويري ( الذي كاتمیر ) : « لبس الطيلسان المقرر ويسمى اليوم بالطرحة » . ويتحتم علينا الان التحدث عن طرحة النساء . وهي كذلك خمار يوضع على الرأس ويتلذى الى الوراء - ولكن هذا الخمار اطول من الخمار الذي يحمله الرجال . ويخبرنا ابو المحاسن ( الذي دى ساسي ) ان النساء في مصر قد لبسته أيام حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون

( 1 ) لا وجود لكلمة طوافة - وجمعها طواوفات - في القاموس . وانتي بمعنى هذه الكلمة المعنى المشار إليه في ترجمتي اعتقد بعدم مجانتي للحقيقة كثيرا . ويخيل الي ان الاستعمال الجاري لفعل طاف يؤيد ذلك . ويقول المقري او بالاحرى ابن سعيد ( راجع فريتاك - طائف عربية نحوية تاريخية - ص 144 ) ان الطواف بالليل هم رمادة الشباب الحراس الذين يجوسون خلال المدينة - اثناء الليل لالقاء القبض على اللصوص . ويسمى ابن خلدون ( راجع دى ساسي - طائف عربية - ج 1 - ص 132 من النص ) الجولات الليلية لهرون الرشيد بالتطواف بالليل - والقضية نفسها محوثة آنفـا ( المرجع السابق - ص 131 ) بهذه الكلمات : تطوفه بسكن بغداد » . وهناك نصوص اخرى تشير بالتحديد الى الاستعمال الذي يصلح له السراح المسمى طوافه . اما هذا النوع المضحك من الصابrig المسما بالفالوس فراجع بشأن وصفه وصورته كتاب ( المصريون المحدثون - ج 1 - ص 225 - 226 ) المؤلفه ليس

وتشير كلمة زعر الى البوهيميين المدعوبين كذلك بالرمادية . وعن المشاعلية راجع ( كاتمیر - تاريخ السلاطين المالك - ج 1 - ق 2 من 6 ) اما عن الزنجية فراجع ( كوسان دى بير سفال - النحو العربي العامي - ص 161 ) الغـ - حالة الشعب . فنحن نقرأ لدى ابن اياس ( تاريخ مصر - مخ 367 - ص 44 ) « التف عليه جماعة من الزعر العياق » . وفي موضع آخر ( ص 58 ) : « ومعه السواد الاعظم من الزعر والمشير » . وبعد ذلك ( ص 138 ) : « ثم ان الزعر تزايد امرهم حتى انهم كسروا بباب جبس الرحيبة » .

وفي موضع آخر ( ص 176 ) : « ومعه السواد الاعظم من الزعر وغيرهم » . وبعد ذلك ( ص 414 ) : « نثر على الزعر الذهب والفضة بيده فاجتمع تحته الجم الحقير من الزعر والعياق ( اي : القعد ) . واخيرا ( ص 477 ) : « ثار جماعة من العوام على المحاسب - امره ( والى الشرطة ) بان يقبض على جماعة من الزعر والعياد ويقطع ايديهم . راجع كلمة عياق تعليقة وردت حول كلمة طرطوط . وتعابير اهل الذعر - الذعارة - ذوى الذعارة ) تشير الى نفس الصنف من الرجال . وان اميرا متخللا من الاخلاق - وهو محمد السادس الفرناطي - سماه ابن الخطيب في ( الاحاطة ) - مخ دى كابانكوس من 163 ) : « مالغا للذعرة » . وتقرا للمقريزى ( الذي دى ساسي - طائف عربية ج 2 - ص 26 من النص ) : « وكان قد ثار بدمشق جماعة من اهل الذعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتند مراهم . وكان كبارهم يعرف باسم الماورد ( وفي رحلة ابن بطوطة - مخ دى كابانكوس - ص 60 ) : « اتفق في بعض السنين ان اوتى امير الحاج بصبي من ذوى الذعارة بمكة قد سرق بعض العجاج » . وتشير كلمة دعار كذلك الى البوهيميين . فنحن نجد لدى المقريزى ( ابراد دى ساسي - طائف عربية - ج 2 ص 29 من النص ) « وصار في عدة وافرة من الذعارات » .

اذن فكلمتنا زعيرات الشعاعين تعنيان بصورة خاصة : البوهيميين او المصريات - بائعات الشمع . الواقع انتا تعلم ان الراقصات العموميات ( بائعات الهوى ) هن في مصر من طبقة البوهيميات . ونرى فوق ذلك من نص المقريزى كلمة زعارة تستعمل بمعنى Scortatio

كتابه . على ان طرحة نساء حلب لم تكن طويلة طول طرحة السيدات المصريات . وقد رأينا معتمدين على نصين للمقريري مذكورين آنفا وجوب اضافة كلمة جمع طرحة طرح الى القاموس . وانتي اجهل كيف ينطق العرب هذا الجمع – ولكن طبقاً لقواعد النحو بوسعتنا نـ<sup>هـ</sup> طرح وطرح . (راجع دى ساسي – قواعد النحو العربي – ج 1 – ص 359 – 360) . وقد لاحظ كاتيرمير (كتابه السالف القديم) ان فعل تطبيق قد تولد من الكلمة طرحة : اي ليس الطرحة .

### الظرور او الظرف

لقد سبق لكاتيرمير ( تاريخ السلاطين الماليك ج 1 ، ق 1 ، ص 77 ) ان تحدث عن الظرف . ولكن هذا العالم الجليل لم يتحتم عليه ان يؤلف كتاباً خاصاً عن الملابس عند العرب : اذن فنحن مرغمون على الدخول في التفاصيل والتوضيع في منعطفاتها ، تلك التفاصيل التي كان بمقدور كاتيرمير ان يتحتم بها هنا دون ريب لو انه شاء ، ولكنها لم تستطع ان تحتل محلها في نطاق شرح على احد المؤلفين .

لا بد ان الكلمة طرطور تشير الى : طافية عالية . وهذا ما ينم عليه اشتقاق الكلمة . حقيقة ان فعل طرطط لا وجود له في القاموس الا بالمعنى المجازي : معنى التمجيد Gloriatu fuit . ولكن هذا الفعل يعني بصورة عامة الرفع او الرفع الى الاعلى In altum sustulit elevavit كتاب الف ليلة وليلة ( ط مكتبة ابن الخطاب ج 1 – ص 8 ) « طرطط ذيله وضرط : In altum sustulit caudam suam et caca vit

وستتحدث اول ما نتحدث عن طرطور النساء وبعد ذلك نتناول طرطور الرجال .

نحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة ( ط مكتبة ابن الخطاب ج 1 ، ص 161 ) ان نسبة استطاعت ان تحصل من عشاقها على ملابس نسائية فالبست عشيقاً الثالث الوزير ( غلالة زرقاء وطرطوراً احمر ) . ونجد في هذا الكتاب : ( يوميات رحلات السيد مونكوني ج 1 ، ص 381 ) ( Le journal des voyages de Monsieur Monconys

مفتوحة الى نصف الليل . وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيماء يعرفن بها وزي يتميز به وهو ليس الملوات الطرح . وفي ارجلكن سراويل حمر . وكن يعنين الزعارة ويقفن مع الرجال السالقين في وقت لعبهم . ومنهن من تحمل الجديد منها . وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل . وقد خرب ولم يبق به الا الخمس حوانين بعدما ادركها تزيد على عشرين حانوتاً وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشموع » .

ويخيل الي ان طرحة النساء كانت تعمل من الكتان او من القطن – فانني اقترا لدی المقريري ( ج 2 – مخ 372 – ص 354 – 355 ) : « وفي اوله كثير من البازارين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام والازرق وأنواع الطرح واصناف الثياب القطن » .

وفي أيامنا هذه ايضاً تعمل الطرحة من الكتان او القطن . اذ يقول لين ا المسريون المحدثون – ج 1 ص 60 ، في معرض حديثه عن طرز لباس سيدات الطبقة العليا ونساء الطبقة الميسورة : « انهن يضمنن على رؤوسهن اما قطعاً من الشاش الموصلى الا يضر المطرزة الحواشي بالحرير الملون والمرصعة بالذهب وأما قطعاً من الكريشة الملونة المزركشة بأسلاك الذهب – الخ – او بأسلاك معادن اخرى » . وان الزراش والتزويفات التي ذكرها لين تتوضع لنا – مهما بلغت ضخامة هذا التوضيح – السعر الفاحش الذي تباع به الطرح طبقاً لرواية ابن المعاسن ) وطرحة نساء الشعب ذات لون غامق وهي من الشاش الموصلى او من الكتان . ( لين – ج 1 – ص 64 ) . وتعمل الطرحة في مصر العليا من قماش صوفي اسمر . ( لين – ج 1 ص 69 ) . راجع هيئة هذا الخمار في كتاب ( لين – ج 1 – ص 57 – 64 – 68 ) .

واعتقد اننا واجدون الطرحة في حلب . فعلى الاقل نراها لدى برين في كتابه ( الرحلات – ص 362 ) اذ يصفها بأنها قطعة كتان بيضاء مشدودة الى عمرونة الرأس ومبولة الى الوراء » . انظر الشكل 189 في

والواقع ان الطرطور تلبسه النساء المارونيات والدرزيات ، ولكنه لديهن مشغول من احد المعادن . وهذا ما يقوله باجيس *Pagès* بالحرف الواحد في كتابه « رحلة حول العالم ، ط بيرن 1783 ، ص 141 » *Voyage autour du monde*

« الطرطور *Tantoura* هو عماره رأس على هيئة مخروط من الفضة تلبسه النساء الدرزيات (2) . ذكر نابيه *Napier* كذلك الطرطور *Tontura* في كتابه « ذكريات عن سوريا » ، ج 1 ، ص 135 ، *Reminiscences of Syria* (وسميه قرن نساء بيروت ، وبعد ذلك ( 1 ، ص 223 ) يقول : « الطرطور او قرن نساء لبنان » *Tontura or horn* . وهناك وصف مفصل عن الطرطور الذي تلبسه النساء اللبنانيات في كتاب المؤلف ذاته ( ص 262 ، 264 ) . وان كاترينير حين اورد نص باجيس *Pagès* حسب من المحتم عليه احلال كلمة *Tartoura* محل الكلمة *Tantoura* ولكن بالنظر الى ان الكلمة توجد كذلك مكتوبة بحرف النون ( n ) في كتاب نابيه *Napier* ، وان حرف الراء ( r ) وحرف النون ( n ) هما حرفان ينتهيان الى نفس الفصيلة ويمكن ان يعثورهما الابدال بسهولة في معظم الاحيان ، فلذلك لا يبدو لي من الاستحالة يمكن امكان النطق هذا اليوم بالكلمة بلفظ طنطورة لدى الدروز . وعلى كل حال فان هذه الكلمة ليست سوى تحريف لكلمة طرطور .

وقد تحدث عدة رحالين آخرين عن عماره النساء المارونيات والدرزيات هذه ، ولكن دون ذكر لاسنها . فنحن نقرأ في رحلة لait *Light* (اسفار في مصر والتوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص 220 ) :

(Travels in Egypt, Nubia, Holy Land, Mount Lebanon and Cyprus)

« ان النساء المارونيات والدرزيات يضعن على رؤوسهن ابوبية من القصدير او من الفضة على هيئة مخروط له

ان نساء الشرفاء يضعن « شريطا اخضر في طرطورهن » وعلى هذا فلا اتردد في التفكير بأن بلون *Belon* يتحدث عن الطرطور وهو الرحالة الذي زار مصر في الاونة التي كتب خلالها كتاب الف ليلة وليلة ، وذلك حين يصف الطاقية العالية التي تلبسها النساء المصريات اذ يتناول الموضوع في كتابه ملاحظات من 134 *observations* على هذا المنوال : « ان ملاحظة طراز لباس الرأس الذي تتخذه النساء المصريات جديرة للغاية بالتسجيل ، ذلك لأنه يمثل القدم والمعانقة ، كما نرى اثناءه مضرورة في الاوسمة وطبع التقد . وقد سماه المؤلفون الناج المبرج او زينة الرأس على هيئة البرج ( الاشرطة المبرجة )

*Vittam turritam* او *Turritam coranum* او *Turritum capitum or namentum*

كما لو قال القائل « عماره رأس منصوبة على شكل برج » (1) .

وبالنظر لأهمية غرابة هذا الفطاء الراسي فان شعراءنا الالatin القدماء لم يغفلوا ذكره فقد تناولوه بالوصف (راجع الصور المخطوطة في كتاب بلون *Belon* التي هي ولا مشاحة غير مستوفاة الشروط من الناحية الفنية .

واعتقد اني واقع على الطرطور في ساحل سوريا في بيروت . فعلى الاقل يقول تيرنر في كتابه : ( يوميات جولة في المشرق من 81 ج 2 ) *Journal of a tour in the Levant - Turner* عن ابنة مضييفه في هذه المدينة انها كانت تلبس طاقية حمراء في غاية الارتفاع مبسوطة فيها انواع قطع التقد التركية امثال ما يدعى *Rubiehs sequins* وغير ذلك ، تلك القطع التي قد يرتفع عددها الى مائة وخمسين قطعة على اقل تقدير ، وهذه القطع التقديمة مجتمعة على اشرطة حريرية معلقة بسلسل فضية » .

(1) يقول حافظ ابراهيم في وصف عمامه احد العميين :

يمشي وقد نصبt عليه عمامه كالبرج لكن فوق تل نفاق ( المترجم )

(2) ورد ذكر هذا النص من قبل كاتمير ( في كتابه الرابع ) ولكن في طبعة اخرى .

القرن على الجبين هن مارونيات ، وان اولئك اللواتي يحملنه على الاذن هن كذلك في الغلب الاعم مارونيات ولكنهن في بعض الاحيان درزيات ، ونحن نقرأ اخيرا في موضع آخر (ج 2 ، ص 73) : « لند اقامت المرأة المارونية بخلع قرنها ( وكان يرتفع في خط مستقيم ) وان تريني اياه ، وكان هذا القرن مصنوعا من الفضة ، دون زينة اخرى ، اللهم الا عدة ثقوب صغيرة مستحدثة فيه على مسافات متساوية » . راجع كذلك ( ريشتر رحلة الى الشرق ، ص 90 - 91 )

#### Richter, Wallfahrten in Morgenland

وستتناول الان بالحديث طرطور الرجال . وقد كانت الطاقية الاعتيادية لبدو مصر . فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة ( ط مكتاكن ، 1 ، ص 365 ) ان سيدة في مقابل عمرها قالت للامير ( شركان ) بعد ان صرعته في مبارزة ، وهي تضحك : « كانك طرطور بدوي تقع من بطشة » . والبطasha هي الضربة . وهذا المثل موجود كذلك في كتاب بركمارت حول الامثال المصرية العربية المحدثة رقم 398 . ولكن قد اشير اليه بنجمة وهذا يعني انه لم يعد شائعا الاستعمال في مطلع هذا القرن . ونحن نقرأ فيه طرطور يقع من لطشا . وعلى رغم بركمارت ولو بل برغم فيشر ( Arab. proverb ) ( M. Fleischer - de glossis Mabichtianis, p. 80 ) الذي يخلي الي انه يذهب نفس المذهب ، فانتي لا يسمعني التسليم بان ( طرطورى ) هو شكل آخر من طرطور او انتي على التقى من ذلك اترجم طرطورى بكلماتي mon tartour ( طرطورى ) اى الطرطور العائد لي . اذن فمعنى المثل الذي اورده بركمارت في مذهبى « طرطورى يقع من ضربة واحدة » ( 1 ) ومعنى ذلك انتي رجل لين المريكة مطاوع بحيث ان اهون شيء يحملنى على تبديل رأيي . وفي نص آخر من نصوص الف ليلة وليلة ( ط مكتاكن ، ج 1 ، ص 419 ) يقسم بدوى بطرطوره فيقول : وحق طرطوري . وبطبيعة الامر يفضى بنا هذا الى البحث عن ماهية الطاقية العالية التي يلبسها بدو مصر في القرن السادس عشر ، بل في العصور الاقدم . وعلى ذلك فان مؤلف حكاية ( فون خيسلا في رحلاته 1 ص 30 Van Ghistele ( T, Votage van Mher Joos va Ghistele )

يقول بالحرف الواحد : « انهم يحملون على رؤوسهم

من الطول حوالي اثنى عشرة عقدة . ولعل هذا الجسم

كان اضخم مرتين من بوق الحوذى » ( انظر الصورة ) . ويقول الرحالة نفسه بعد ذلك ( ص 232 ) في معرض حديثه عن عروس امير جبل لبنان « كانت تبدو احيانا مرتدية حلقة الفطر ، وقد زارت رأسها بقرن من الذهب مرصع بالاحجار الكريمة بدلا من القرن العادي الذي تحمله عادة نساء الجبل الاخريات A golden horn ونقرأ في رحلة تيرنر ( ج 2 ، ص 5 ) : « لند رايت بعض نساء مارونيات خارجات من الكنيسة ( بيروت ) وكن يلتفن النظر بقرن ضيق يبلغ طوله ثمانى عشرة عقدة . وهو مفطى بخمار ويرتفع على الجبهة في نفس الاتجاه وعلى نفس الهيئة اللذين تصور بهما قرن الكركدن او الحيوان الخرافى كحصان يقرن في جبهته » . وان طبقة النساء تشير اليها ضخامة القرن والمادة المصنوع منها الجسم ذلك لأن بعض هذه الطراطير مصنوع من الفضة ، بل هناك طائفه من الطراطير المصنوعة من الذهب » .

وفى موضع آخر ( ج 2 ، ص 67 ، قبل لبنان ) : « لقد سالت الآباء Padre كيف تعمل النساء لتشيّط القرن على هذه الصورة المرتفعة للغاية بحيث ينطلي الجبين ، فأعلمني بأن هذا القرن يثبت على قفا الرأس بواسطة عصابة ، وان شريطها معلقا بهذه المصابة يحيط الجبين وان شريط آخر يحيط بالعنق ، وان نقل وضفت هذا الاكليل كانوا فاحشين للغاية » ، بحيث لم تستطع اية امراة حمله ما لم تكن قد اعتادت عليه منذ الطفولة . اما نساء الطبقة العليا فيلبسن الطراطير الذهبية . واما عوام النساء فيضعن الطراطير الفضية او تتحصر اكاليلهن في قرن اعيادي او في قرن مائل اذا كن ميسورات الحال فاستطعن توفير هذا القرن الدائل » . وبعد ذلك ( ج 2 ، ص 68 و 69 ) : « في هذه الجبال تلبس النساء نوع قرن لكنه اقصر وهو يمر فوق الاذن اليمنى ويرتفع بزايا قائمه بدلا من الارتفاع بخط مستقيم . وقد صادفت احدى هاته النساء فحملتها على خلع قرنها ، وذلك باعطائها بعض البارات . وقد وجدت ان هذا النوع من القرن مشدود بكل بساطة بفضل طرحة ، ويكون احيانا متقويا لاستطاعة تشيّته بسهولة بالغة » . وبعد ذلك ( ج 1 ، ص 71 ) نقرأ ان الرحالة على علم بأن النساء اللواتي يحملن

( 1 ) تعنى الكلمة لطشا في اللهجة المصرية ضربة لا هي بالمعنى ولا الخفيفة . تعلق بركمارت . راجع ملاحظة فيشر القيمة في كتابه : A. de glossis Habichtianis . واعتتقد وجوب احلال كلمة لطشا محل كلمة بطة في نص الف ليلة وليلة المذكور اعلاه .

من الثنيات ، لونها اسود ، وترتفع اطرافها من الاعلى  
مستديرة اكثر قليلا من اصبع .

ولم اجد الطرطور او الطاقية العالية للبدو  
المصريين مذكورين من قبل الرحاليين الذين زاروا  
مصر بعد متказا . ( زار متказا الشرق عام 1600 ) .  
ويخيل الي ان الطرطور لديهم قد اقيم مقامه الكلوه  
السممة بالطربوش الذي كما سبق ان قلنا آنفا ، في  
معرض حديثنا عن هذا الاكيل ، كان يلبس سابقا من  
قبل الفرسان البدو ، ايام كان هذا الرحالة الإيطالي  
موجودا في مصر .

ونحن نعلم ان البداء المصريين ، وهم رجال  
غلاظ الاكيداد قسا القلوب محرومون من الحضارة ،  
كانوا يعانون ما يعانون من ظائع الازدراء والاستعلاء  
من جانب سكان مصر المتعدين المزعومين . اذن فلن  
يبدو على شيء من الغرابة نظر سكان المدن الى هذا  
الطرطور الهائل الذي يضعه البدو على رؤوسهم نظرة  
مضحكة مستخفة ، الواقع انهم كانوا يضعون دائما على  
رأس المجرم ، او على رأس العدو المقهور ، طرطورا  
ويطوفون به على هذه الشاكلة الوحشية في الشوارع  
والدروب . والحقيقة اننا نقرأ في تاريخ مصر  
للنويري ( مخ 2 ، ص 99 ) : « وابو رکوة على جمل .  
وعلى رأسه طرطور . وطيف به على هذه الصفة وخلفه  
قرد يصفعه . ثم صلب وضربت عنقه . وجهزت رأسه  
إلى البلد . وفي موضع آخر ( مخ 2 ، ص 108 ) :  
فعلقو ذقنه . والبسوه طرطورا . وسمروه . وطافوا  
به المدينة السلطانية [1] . »

يرانيط حمراء واسعة . مصنوعة من اللباد المعرط في  
الكتاف ، الكتفا ، وهي على هيئة شبه بطيوبة  
مسطحة . اذن فهذا الاكيل يماثل تاج الاسقف ،  
البرطل ، الطاية Mitre ولكنه ليس مدببا من الاعلى .  
و حول هذه الطاقية يلفون ثلاث او اربع لفات قطعة من  
الشاش والمماماة . وتقرا في كتاب سالينياك ( رحلة  
الى اورشليم ، ج 8 ، ف 2 ) :

*Itinerarium Hierosol. VIII, cap. 2*

« انهم يكتسون بجلود الحيوانات وبطاقية عالية ، مثل  
الاتراك » . ويجزم دلشير فون سيدلتز ، في كتابه :  
( وصف حقيقى دقيق لزيارة الاماكن المقدسة ، ص 361 )  
*« Gründliche Beschreibung der Wallfahrt »* :  
« ان اطفال البدو يدعون بين الماشية وهم لا يلبسون  
طاقية مدببة سنجانية اللون » .

ونجد في قصة هيلفريش ، وصف رحلة  
مختصرة ، ص 379

*« Hellfrich (Kurtzer unnd wahrhaftiger Bericht von der Reysz) »*

« ان البدو يلبسون في رؤوسهم قبعة حمراء مدببة  
زياء امزبية ، محوطة بقطعة من القماش الاييض » .  
ا مسورة بالمعامة ؟ ، وفي قصة الامير رادزيفييل ،  
ص 38 ، الحج الى اورشليم

*(Jerosolymitana peregrinatio)*

ان الطيارة للبدوين Tiara ( تاج البابا ، تاج قدماء  
الفرس ) مذكورة ايضا . ونحن نقرأ في رحلة مسكازا  
ص 112 ، قصة رحلة الى اورشليم :  
*(Relatione del Viaggio di Gierusalemme)*

« انهم يضعون على رؤوسهم نوع قبعة عالية محرومة

[1] ابو رکوة امير من البيت الاموي في الاندلس . وقد حاول ان يخلع خليفة مصر الحاكم بأمر الله عن  
العرش ولكن خانه اتباعه وسلموه . راجع حول الموضوع فيما ترجمته هامر بركتال في كتابه  
ـ قاعة الرسم لاعظم سلاطين الاسلام ، ج 3 ، ص 345 - 346 ) :

ـ Hammer-Purgstall, Gemäldesaal groszer Mos-limischer Herrscher :

وان فعل سر ، في الصيغة الثانية ، يعني تثبيت مجرم بالسامير على صليب وصلبه . ولما كان  
هذا الفعل كثير الذبوع لدى المؤرخين ومفسرا اسواء تفسير في القاموس ، فمن المحتم على ان ادخل  
بعض هذا الموضع في بعض التفصيلات . فان كلمة مسمارة تعنى القطعة المعروفة من احد المعادن .  
نكلمة مسamar تشير الى هذا الجسم المعدني . فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة ( مخ دى كابانكوس  
ص 194 ) : ثم صرفه واعطاه اموالا طائلة وفي جملة ما اعطاه جملة من صفائح الخيل وساميرها .  
كل ذلك من الذهب الخالص . وقال له : اذا نزلت من البحر فانعمل فرسك بها . وفي تاريخ مصر  
للنويري ( مخ 7 ، ص 154 ) : عشرة سامير من الذهب . وفي كتاب ابن بطوطة : مسamar فضة .  
وفي موضع آخر : سامير الفضة . ومن هذه الكلمة مسamar تعنى القطعة المعروفة من احد المعادن .  
للنويري ( مخ 2 ، ص 479 ) : اخرج فسمر على خشبة . وبعد ذلك ( ص 482 ) يقول المؤرخ عن  
الشخص نفسه انزل شنثول عن خشبته . ونجد في تاريخ مصر للمؤلف نفسه ( مخ 19 ، ص 138 ) :  
بات في ليلة الاثنين على خشبة التسمير . ( وسأتحدث تاليا عن الكلمة خشبة وجمعها خشب وعن مختلف  
مدلولاتها . راجع في الكلمة طاقية التعليق (3) . ولكن ليس من الضروري اضافة كلمتى على خشبة او —

مساهم من حر الزقاق على القفا  
وصنف بانطاع حبي رياض (كذا)

وكانوا يقطعون الطريق على الناس ويعنونهم من الخروج في ذلك اليوم الى الاسواق . وتفلق في ذلك اليوم الدكاكين وتتعطل الناس عن البيع والشرى . وكل من ظفروا به في الطريق بهدوه ولو كان من اعيان الناس او من الامراء فيرشونه بالماء المتنجرس ويرجمونه بالبلاط حتى يفدي نفسه منهم بشيء حتى يخلص من ايديهم فيحصل للناس في ذلك غاية الضرر ويتعطل عن اسبابهم . وكانوا يتجلبون ذلك اليتوم بشرب الخمر وكثرة الفسوق في اماكن المفترجات حتى يخرجوا في اليوم عن الحد . وربما كان يقتل في ذلك اليوم جماعة مما يعربدوا على بعضهم في السكر والعياق . وكان هذا الامر ماثي بمصر على القاعدة القديمة من الدولة الماضية ولا تنكر ذلك من ذلك في الدول الماضية ولا ينكر ذلك ) وكان في ذلك اليوم يحمل الى اكابر مصر من الاقباط والمبashرين اصناف الفواكه وغيرها من جميع الاصناف . وكان يوم النوروز من اجل الموسام بمصر . فلما تسلط الظاهر بر قوق امر بابطال ما كان يعمل في ذلك اليوم وأرسل الحجاب مع والي القاهرة ومعهم المالك السلطانية . فطافوا باماكن المفترجات وقبضوا على من وجدوه من العياق من يفعل ذلك وضربوه بالمقتارع . وربما قطعوا ايدي جماعة منهم واشهروهم . وأشهروا النساء بالتهديد على من يفعل ذلك بالشنق والتتوسيط . فرجعوا الناس عن ذلك من يومئذ وانكروا عما كانوا يفعلونه في ذلك اليوم في اماكن المفترجات ونحو ذلك

وسائل نشر بهذه المناسبة نصاً لابن ابياس ممتهناً  
للغایة من عدة وجوه . نحن نقرأ في تاريخ مصر  
المنسخ من 637 م : ص 16 وما جاء بعدها ، حادث عام 787  
لهذا المؤرخ من الحوادث ان السلطان رسم ببطال ما  
كان يعمل يوم النوروز . وهو اول يوم من السنة  
القبطية . وما كان يعمل بالديار المصرية ذلك اليوم  
انه كان يجتمع في ذلك اليوم السوداء الاعظم من العام  
وغيرهم من الاسافل . ويركبون منهم شخصاً خليماً  
على حمار وهو عريان وعلى رأسه طرطور خوص  
فيسمونه امير النوروز ، ويكون ذلك قوى الطياع  
فيتوجه الى بيوت الاكابر واعيان الناس ويقف على  
الابواب ومعه السوداء الاعظم من الاسافل فيكتب على  
صاحب تلك الدار الوصلات بالجمل الثقال وكل من  
امتنع من العطا بهذله وسبوه ولو انه اكبر من فى  
القاهرة . ولا يزالوا مرسمين على بابه حتى يأخذوا منه  
ما قرروه عليه وياخذدوا منه ذلك القدر غصباً وكان  
منهم طائفة يقفون في الطرقات ويترافقون بالماء  
المجس او بالخمر ويترجمون في وجوههم بالبيض  
ويتصافعون بالاخفاف على رقابهم ويترجمون بعمائمهم  
حتى قيل في المعنى :

( الطويل )

بداری رجال للجنون ترجمت

عما تهم عن هامهم والطبالس

فللراح ما زرت عليه جبوبها ( حبوبها )

وللماء ما دارت عليه القلنس

على خشب للتعبير عن تسمير أحد على صليب . فان فعل سمر يكفي للاعراب عن الفكرة ، فكرة هذا النوع من التعذيب المسمى تسميرا . فتحن نجد فى تاريخ مصر للنوبى ( مخ 2 ، ص 170 ) : نطولع السلطان فى امرهم وامر بتسمير الخمسة قسمروا تحت القلعة . وشفع بعض الامراء فى اطلاق المرأة . واطلقن وفكوا المسامير فماتت بعد أيام . وفي موضع آخر ( ص 186 ) امر بتسمير جماعة كانوا معتقلين بخزانة البنود . وفي مجلد آخر من نفس الكتاب ( مخ 2 ، ص 108 ) : سموه وطافوا به المدينة .

لـ مناسـ لـ من نـشـ النـ باـكـمـهـ . وـسـاحـمـكـ مـرـةـ  
أـخـرـىـ عـلـىـ مـلاـحـظـةـ اـنـ اـحتـفـالـاـ مـثـلـ هـذـاـ يـقـامـ فـيـ بـعـضـ  
اقـطـارـ الشـرـقـ ، فـيـ مـطـلـعـ شـهـرـ رـمـضـانـ . رـاجـعـ وـصـفـ  
اـحـدـ هـذـهـ الـاحـتـفـالـاتـ فـيـ كـتـابـ تـيفـنـوـ ، صـ 287ـ ، 279ـ ،  
حـكاـيـةـ رـحـلـةـ إـلـىـ الـمـشـرقـ :

« Relation d'un voyage fait au Levant » :

وـاعـتـقـدـ اـنـ المعـنـىـ هوـ الطـرـطـورـ فـيـ النـصـ التـالـيـ لـتـيفـنـوـ  
فـيـ كـتـابـهـ المـذـكـورـ ، صـ 69ـ ، الـذـيـ وـصـفـ الـزـينـةـ فـيـ  
حـلـبـ (2)ـ بـالـعـبـارـاتـ التـالـيـةـ : « اـنـ اـجـمـلـ ماـ فـيـ هـذـهـ  
الـزـينـاتـ هوـ رـؤـيـةـ مـسـيـرـةـ اـصـحـابـ الـحـرـفـ . فـقـدـ بـدـاـ  
هـذـهـ الـمـسـيـرـةـ بـمـرـورـ الـاـسـاكـفـةـ الـذـينـ كـانـوـ يـمـشـونـ  
بـنـظـامـ . وـقـدـ اـنـطـلـقـتـ الـمـسـيـرـةـ بـادـيـهـ ذـيـ بـدـءـ يـتـقدـمـهاـ

وـهـذـهـ الـوـاقـعـةـ ذـكـرـهـاـ المـقـرـبـيـ مـنـ حـوـادـثـ سـنـةـ سـبـعـ  
وـثـمـانـيـنـ وـسـبـعـمـائـةـ (1)ـ .

وـلـيـسـ هـنـاكـ اـدـنـيـ رـيبـ فـيـ اـنـ اـبـنـ اـيـاسـ يـلـمـعـ هـنـاـ  
إـلـىـ كـتـابـ السـلـوكـ لـلـمـقـرـبـيـ ، وـهـوـ السـفـرـ الـذـيـ خـلـتـ  
مـنـهـ مـكـتبـةـ لـيـدـنـ وـالـسـفـاهـ !

وـلـعـلـ اـنـاسـ سـيـتـنـاـلـونـيـ بـالـلـوـمـ عـلـىـ نـشـريـ  
وـتـرـجـمـتـيـ لـلـنـصـ بـتـمامـهـ : وـلـكـ يـخـيـلـ إـلـيـ اـنـ مـنـ  
الـفـرـاءـ كـلـ الـفـرـاءـ الـمـثـورـ فـيـ الـشـرـقـ عـلـىـ عـيـدـ يـشـابـهـ،  
مـهـمـاـ كـانـتـ الـمـشـابـهـةـ ضـئـلـةـ ، عـيـدـ مـجـانـيـنـ الـعـصـرـ  
الـوـسـيـطـ وـالـكـرـنـفالـ ، بـحـيثـ أـسـطـعـيـ اـنـ اـقـرـرـ نـشـرـ  
بـضـعـ فـقـرـاتـ فـقـطـ مـنـ هـذـاـ النـصـ . . . لـذـلـكـ كـانـ

#### تعليق (1) .

(\*) راجع حول كلمة خليع فليشر في كتابه السالف ص 95 .

(\*) راجع كذلك لين الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 377

(\*) ان فعل بهدل يعني اهان . راجع الف ليلة وليلة ، 7 هابخت ، ج 6 ، ص 143 ، وقويميس الكلمات  
المضاف الى المجلد السابع من هذا الكتاب . ونحن نقرأ في موضع آخر من كتاب ابن اياس (ص 1386)  
ثم قال السلطان ) ايشن اعظم ما تبهدوا به الناس عندكم . قال نريمهم بشبابهم في الماء . واري ضرورة  
احلال كلمة تبهدوا محل كلمة تبهلوا ، وتوجد كلمة تبهلوا في نص آخر من كتاب المؤلف المذكور .  
فنحن نقرأ فيه (ص 452) . وقد حصل للقادم من العوام غایة البهله من السب والرجم وغير ذلك .

(\*) يجب اضافة التصريف السادس من فعل رش الى القاموس . وكذلك التصريف السادس من فعل  
صفع .

(\*) لقد حذفت البيت الثالث لأنني اعترف صراحةً لا انهم شيئاً منه مطلقاً ، والمخطوطة كثيرة الاخطاء  
في هذا الموضع .

(\*) لا وجود لكلمة مفترجات في القاموس . وفي نص آخر من مخطوطه ابن اياس (ص 296) توجد  
هذه الكلمة مكتوبة مشكلة على هذه الصورة مفترجات . ونقرأ فيه : وكان يحب التنزه والمفترجات  
(العاهرات) . ونجد في موضع آخر (ص 74) « ان احدا لا يخرج الى المفترجات قاطبة (من ذلك  
السلطان) . وبعد ذلك (ص 297) : وقد تقدم ما كان يقع له في المفترجات . وأخيرا (ص 415) :  
« وهو كلام ملحن مطول . وصاروا يفتنون به في اماكن المفترجات » . ويجب على اصحابكم على ملاحظة  
انني لم اجد هذه الكلمة لدى اي مؤلف آخر ، وان المؤلفين الاربيين ، الذين يذكرون في معظم الاحيان  
الاسم الذي كانت تحمله الموسمات في زمانهم في الشرق لا يسمونهن ابداً مفترجات .

(\*) لا وجود لفعل شهر بهذا المعنى في القاموس ، الا في التصريف الثاني . ولكن التصريف الرابع يعبر  
احياناً عن نفس الفكرة . فنحن نقرأ في موضع آخر من كتاب ابن اياس (مخ ، ص 66) : سمر هرم  
واشهرهم في القاهرة . وبعد ذلك (ص 180) :

اشهرهم في القاهرة على جمال . وفي موضع آخر (ص 416) : ضربه المقارب واشهره في القاهرة .  
وفى مجموعة القطع المختارة الخاصة بالدروز (الدى دى ساسي ، طائف عربية ، ج 2 ، ص 90 من  
النص) : اشمارك بالقاهرة المقدسة وبشوارع مصر وازقتها .

(\*) راجع حول المذاب الغليظ المسمى بالتوصيف سيلقيستر دى ساسي ، طائف عربية ، ج 1 ، ص 468  
وكلذلك كاتيرمير ، تاريخ السلاطين الماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 72) . وعلاوة على ذلك بمقدوركم مراجعة  
اتيين دى كنبنير وغيره .

(2) راجع حول كلمة « زينة ) كاتيرمير ( تاريخ السلاطين الماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 29 .

والطهور يلبيه كذلك الفرسان الاتراك الذين يطلق عليهم كلمة دلى Delis (راجع بركهارت ، الامثال العربية ، الرقم 149 ، حول مثل : جندي ما قبل شبع طرطوره ) .

اما عن طرطور اتراك مدينة الجزائر فبوسعكم مراجعة الوصف الدقيق الذي دبغته براعة دييكو دي هيدو في كتابه خطط مدينة الجزائر : ص 20 ، مخ 3 و 4 .

وهذا المؤلف يكتب الكلمة على هذا الشكل : Tortora .

### الطلس

يذهب القاموس اط كلتنا ، ص 772 ) الى ان الطلس هو ( الطيسان الاسود ) (2) .

### الطيisan - الطيلسان

ان التفاصيل التي اوردتها حول الكلمة طرحة تجيز لي الابجاز في معرض التحدث عن الطيلسان .

يقول لين ( الف ليلة وليلة - ج 2 - ص 512 ) عن الطيلسان ما يلي : « لم تتع لي الفرصة ابدا لفحص الطيلسان وعلى ذلك فليس بمعقدوري ان اصفه وصفا دقيقا . ولكنني اعتقد انه نوع بسيط من الخمارات الذى يطرح على الراس والكتفين . او يلقى احيانا على الكتفين فقط . وهو خاص بالقراء او باساتذة الفقه والشريعة (3) . وهذه التفاصيل صحيحة ودقيقة - وبوسعكم الاقتناع بالرجوع الى مقالتي عن الطرحة .

وقد يكفي كون الطيلسان لا يلبس الا من قبل علماء الشريعة - ومن هنا جاء التعبير الوارد في كتاب ابن حبيب ( مخ 425 - ص 383 ) : اهل السيف والطيلسان - ولكننا رأينا آنفا ان الطرحة قد ارتداها ايضا كبراء مصر - ابتداء من عام 676 فانقطعت عن كونها لا تلبس الا من قبل القضاة واولئك الذين لم يكونوا يمارسون الا سلطة روحية وقضائية .

رهط من الصبيان الذين كانت رؤوسهم مقطادة بطراطير ورقية مدبية على هيئة قوالب السكر (1) Pains de sucre . وما يزال الدراويش يلبسون الطراطير . اذ يقول لين بصراحة في كتابه ( المصريون الحدثون ، ج 1 ، ص 369 ، ج 2 ، ص 190 ) ان بعض الدراويش يلبسون الطراطير او الطاقيات العالية المعززة قممها بقنازع من قطع الجوز المختلفة الالوان ، والتي عادة لها شكل قوالب السكر . وانني اقرأ في رحلة ستوكوف الى المشرق ، ص 433 ، وهو يتحدث عن دراويش القاهرة :

« كان واضعا على رأسه طاقية معمولة على هيئة قالب سكر مقطادة كلها بآلاف الريشات الصغيرة من مختلف الألوان » . وفي حكاية كوبسان Coppin (Le Bouclier de l'Europe : 131 ، ص 131 ) درع اوروبا ، ص 131 : « يلبس الدراويش طاقية مشغولة على هيئة قالب سكر » . وفي يوميات اسفار دى مونكونسي ، ج 1 ، ص 167 : « انهم يضعون على رؤوسهم طاقية فخمة من البداد الوردي المعول على هيئة قالب السكر ، وكانت احدهما تشبه كل المثابة تاج الاسقف او البرطل او الطابية ، وتحف بها نقوش على صورة ازهار خضراء زاهية اخاذة ، وقد وجدت احدى الطاقيات الملعونة عليها لفافة بيضاء كذلك التي تكور بها العمامة ». انظر للمقارنة الصورة المرقمة 19 ، الملصقة في الصفحة 346 من الجزء الاول ، وتمعن كذلك في الشكل الموجود في كتاب بوكوك ، رحلة الى الشرق ، ج 1 اللوحة 58 .

ولعل من المحتمل الراجح ان دراويش سوريا يلبسون كذلك الطاقيات العالية المسماة بالطراطير ، وهذا مؤيد بشهادة روجيه فكتابه ( الارض المقدسة ، ص 245 245 La Terre Sainte , p. 245 ) يقول : « انهم يعنثون عن العمامة بالطاقية البيضاء المشغولة من البداد الذي يصل سmekه احيانا الى عقدة وارتفاعه الى قدم » . ويقول دارفييو D'Arvieux كذلك في كتابه ( مذكرات ، ج 6 ، ص 465 ) وهو يتحدث عن دراويش حلب : « ان ما يميزهم عن سواهم هو طاقية من الصوف الابيض ، مفرطة في الطول ومدببة كل المدية » .

(1) قالب السكر ما نسميه نحن ( كلة السكر ! ) .

(2) لم يلملم المؤلف اراد ان يكتب ( الطيلسان ) . فخط ( الطيلسان )

(3) ويضيف قائلا : « انتي ميال للظن بأن الطيلسان شبيه بأوشختنا وقلانسا الاكاديمية - ليس من ناحية المظهر فحسب - وانما من جهة الاصل .

## الطاقة

يذهب القاموس ( ط لكتنا ، ص 1307 ) الى أن الطاقة هو الطيلسان او بالاحرى الطيلسان الاخضر ( ضرب من الشيب والطيلسان او الاخضر ) .

## الطاقة وجمها الطوقي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وتعني في اللغة العربية كلوجة صفيرة تلبس تحت العمامة . ولعلها من أصل فارسي – ولكنني يجب ان احتملكم على ملاحظة ان الكلمة لا تشير في فارس الى كلوجة صغيرة – ولكنها توقيع على ما يبدو الى نوع عصابة توضع على الرأس .

يقول مير خوند Mirkhond ( ص 66 - تاريخ السلاجقة ) في معرض حديثه عن السلطان السلاجوقى الب ارسلان « وطاقة » نيزين سرمى نهاد كويندكه از سر طاقه تانهایت لحیه ، او دو کز در نظر بیننده آمدی ». أما خوندمير Khondemir ( حبيب السير ، ج 2 ، مع فارسية 296 ، ص 204 ) فيقرر نفس الواقعية بهذا الكلمات : « وطاقيه طولانی ( اقرا نيز ) بر سر میکذاشت - جنانجه بیننده از بدايت طاقیه تانهایت لحیه دو کرمی بینداشت » (1) . وهذا النص الاخير يجب ان يترجم على هذه الصورة « كان يلبس في راسه طاقية طويلة - بحيث ان من يرى هذا الانسان يلمع ذراعين من الطاقية - انطلاقا من موضع عقد هذه حتى اللحية ». والجدير باللاحظة ان مير خوند وخوندمير يعدان الطاقية من بين الصفات الحسنة - بل من بين الصفات الاخلاقية العالية للسلطان . ومع ذلك فاني اعتقد ان ابن بطوطه ( الرحالة مخدي كابانكوس - ص 82 ) حين يقول - في مقاله عن اصفهان « وطلبت منه ان يلبسني طاقية من راسه » كان الموضوع في هذا النص موضوع عرقية او كلوجة - ذلك ان هذا على الدوام هو معنى هذه الكلمة لدى الكتاب العرب . فنحن نقرأ في وصف مصر للمقرizi ( ج 2 ، من 372 ، ص 358 ) النص التالي - المظيم الاهمية « سوق البخاتيين هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب التي ذكرها

وكذلك شأن الطيلسان . فنحن نقرأ مثلا في تاريخ مصر لابن ابياس ( من 367 - ص 41 - 42 ) « فلما وقعت عينه على الملك الظاهر جري وقبل يده وقال للظاهر برقوق : « انت استاذنا كلنا ونحن مماليك قاطبة » . ثم ان برقوق قام ولبس عمامته ولف عليها طيلسانا كبيرا » .

ونقرأ في نص للسيوطى ( حسن المحاضرة ، من 113 ، ص 308 ) « ان الطيلسان المقصور كان يعطى كلباس تشريف ( خلعة ) لامير الجيوش » .

وفي رحلة محمود بن جبير ( مع 320 - ص 46 ) نجد ان الخطيب في مكة كان يرتدي الطيلسان من الكتان الرقيق ( وعليه طيلسان شرب رقيق ) . ويذهب ابن بطوطة ( الرحالة - مخدي كابانكوس ، ص 64 ) الى ان الطيلسان كان اسود اللون ( عليه طيلسان اسود ) .

وفي الاندلس كان الطيلسان معروفا على وجه الاجمال .. كان معروفا وشائع الاستعمال بصورة عامة بين الكباء ولدى عامة الشعب - ولكن كان يرتدي فوق الكتفين - ولم يكن يضعه على الرأس الا شيوخ الشياخ ( المقرى - او بالاحرى ابن سعيد - الذي فربتاك - طائف عربية ونحوية وتاريخية - ص 148 ) . ولا ريب ان هذا الخمار هو الطيلسان الذي نرى الشيخ العجوز يرتديه وسط اللوحة 65 من كتاب Cavanah Murphy الرائع : « الآثار العربية في اسبانيا » :

« The Arabian Antiquities of Spain »

ونقع في كتاب زيحان الالباب ( مخدي كابانكوس ) على النص الذي يبعث على التأمل والملاحظة : « ثم مات هشام - ويقال ببل قتله المعتضد - ومشي في جنازته دون طيلسان راجلا مشي الحجاب » .

ويتحدث حاجي خليفة ( ط فلوكل - ج 1 - ص 162 ) عن كتاب معنون : « الاحاديث الحسان في فضل الطيلسان » . وهناك نسختان من هذا الكراس في مكتبة الاسكور وبال .

(1) يجب اضافة فعل بindaشت الى المعاجم الفارسية .

الطاوقي المستديرة العالية . وهذه الطواقي ضيقة من الاسفل وعرضية من الاعلى – والجزء الواطسي منها مصنوع من المخمل ومن نسيج آخر – اما الجزء الاعلى فمشغول من الصوف الاخضر الرديء». فإذا لم اكن متوهما – فان بيبر مارتيير السفير الفرنسي لدى قنصلية الغوري عام 1501 يتحدث في كتابه (سفارة بابلية – ص 401) عن الطافية ايضا . واليكم كلاماته : « ان المالك انذين هم في خدمة السلطان يلبسون طواقي من الصوف – وهي ثقيلة الوزن وقاسية الملمس – وتتألف من لونين مختلفتين – اللون الاول الاخضر في الاسفل – واللون الثاني الاسود في الاعلى » .

وبالرغم من انتبات هذه الاوصاف بعض الانطباق على اوصاف المقريزى – فانني ارى من المحتم علي ان اعترف بأن التفاصيل ليست هي نفسها بالضبط ( ولكن ما لنا لا نفترض ان طافية المالك كانت عرضة لتحولات اقتضتها الظرف المستحدثة ؟ الم يخبرنا المقريزى نفسه ان طافية المالك قبل حكم الملك الناصر فرج كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الطافية التي يلبسها هؤلاء المالك في عهده ) .

وفي ايامنا هذه تشير كلمة طافية في مصر الى نفس ما تشير اليه العرقية – اي الى كلولته صفيرة من القطن تلي الراس تماما – كما يقول لين ( المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 41 ) . ويرتديها افراد الجنسين تحت الطربوش ( المرجع السالف – ص 58 ) الذي حوله تلف قطعة من القماش – وعلى هذه الصورة تتشكل العمامة . ويكتب ج فيسيك ( رحلة الى الشرق ، ص 182 ) الكلمة هكذا Takie – وهي في نظر الرحالة « عرقية صفيرة من القطن المنقوش الذي يكون عادة مزركشا ومطرزا بنقوش غایة في الإبداع والنفاسة ». بل يذهب بركمارت في كتابه عن الامثال المصرية الحديثة ( الامثال العربية – رقم 101 ) الى القول بأن هذه الكلمة تشير الى عرقية او كلولته ببعضه مصنوعة من القطن الناعم المطرز الحواشى عادة – وهي تلي الرأس مباشرة وتلبس تحت الطربوش الاحمر ». ويتحدث بوكوك كذلك في كتابه ( وصف الشرق ، ج 1 ، ص 328 ) عن الكلولته الصفيرة البيضاء المعمولة من الكتان التي تستعمل لتفطية الدماغ او تلبس تحت الطربوش . وبهذا المعنى كانت هذه الكلمة شائعة الاستعمال في زمان كتابة الف ليلة وليلة . فنحن نقرأ في هذا الكتاب ( ط مكتبة الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 172 ) : « فنظروا

ان شاء الله تعالى عند ذكر التيسير . وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشيبة تصغير خشبة凡ه عمل في بايه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه . ويسلك في هذا السوق إلى قيسارية الشرب وغيرها . وهي معمرة الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطاوقي التي يلبسها الصبيان والبنات . وبظاهر هذا السوق ايضا في القصبة عدة حوانين لبيع الطواقي وعملها . وقد كثُر لبس رجال الدولة من الامراء والمالك والاجناد ومن يتشبه بهم للطاوقي في الدولة الجركية وصاروا يلبسون الطافية على رؤوسهم بغير عمامة ويمرون كذلك في الشوارع والأسواق والجوامع والموابك لا يرون بذلك بأسا بعد ما كان نزع العمامة عن الرأس عارا وفضحة . ونوعوا هذه الطواقي ما بين اخضر واحمر وازرق وغيره من الالوان . وكانت اولا ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل اعلاها ( مدور مسطح ) . فحدث في أيام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطاوقي الجركية يكون ارتفاع عصابة الطافية منها نحو الثلثي ذراع وأعلاها مدور مقبب بالفوافي بتقطين الطافية بالورق والثيرن فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس . وجعلوا من اسفل المصابة المذكورة زيقا من فرو القرض الاسود يقال له القندس في عرض نحو ثمن ذراع يصير دائما بجهة الرجل واعلا عنقه . وهم على استعمال هذا الزي الى اليوم . وهو من اسمع ما عانوه . وتشبه بالرجال في ليس ذلك النساء لمعنبيين احدهما انه نشا في اهل الدولة محبة الذكران فقصد نسائهم التشبه بالذكران لتنسلن قلوب رجالهن . فاقتدى ب فعلهن في ذلك عامة نساء البلد . وثانيةما حدث بالنساء من الفقر ونزل بهم من الفقر والفاقة . فاضطر حال نساء اهل مصر الى ترك ما ادركنا فيه النساء من لبس الذهب والجواهر بل ولبس الحرير حتى ليس بهذه الطواقي وبالفن في عملهن من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها . ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ امور النساء في عاداتهن وآخلاقهن ومذاهبهم » .

ولعل مؤلف رحلة فان خيستلا ( من 48 ) يتحدث عن الطافية – وكان زار مصر عام 1481 – اي بعد وفاة المقريزى باربعين سنة – فعبر عن خواطره في معرض الكلام عن المالك بالكلمات التالية : « ثمة ناس يضمون على رؤوسهم البيريهات – اي